

## مقام العقل في تكوين التاريخ

خلاصة لمذاهب هيجل وكارليل ووليم جيمس ولستر وارد

هيجل : [ الى ماركس ] ان ما ابدته من الآراء قضية — يا سيدي . واذا اخذنا بكل ما ذكر من الآراء في هذا الحوار وجدناها تشتمل على كل العوامل المكونة للتاريخ الا عامل العقل الانساني . فيحمل ذلك السامعين على الظن ان العقل والشجاعة لا قيمة لها في العمران . واذا كانت الاحوال الجغرافية والاثولوجية والاقتصادية تؤثر في اعمال افراد ، والجماعات سواسية ، افليس ثمة فرق بين كون الفرد عبقرياً او احمق . او بين كون القوم اذكياء او باهلاء ؟

ماركس : الفكر يا سيدي اداة الرغبة . والرغبات في الجماعات والامم ، اقتصادية . وقد قال بسمارك ان النظام الادبي لا مقام له في معاملات الامم . والرجل العظيم ، كذلك اداة او بوق لحركات الجماهير والقوى الخفية . فان لم يكن كذلك عدو رجلاً شاذاً غير ذي شأن في توجيه عصره . فسرُّ به مجاري التاريخ ولا تأبه له . ومقام الفكر في التاريخ كقمامه في عمل الفرد . وفي كتنا الحاليين لا يكون المحرك فكرياً بل رغبة خفية لا يلزم قط ان يشعر بها الفرد . ولا ريب في ان العلاقة بين ثقافة عصر من العصور وحالته الاقتصادية كالعلاقة بين الفكر والجسم . لان الثقافة ليس الا مظهراً من مظاهر الافعال المحركة والقوى الخفية

هيجل : بحيرني ان يتكلم الماني هذا الكلام . ويظهر لي ان المانيا قد فقدت روحها بعد ايام كانط ولستع وهردر وغوته وشلر وبتوثن — وبعد ايامي انا — المجيدة . لقد فقدت المانيا روحها في الصناعة . واصبحت تنجب كباويين ومهندسين بدلاً من الفلاسفة ورجال الفن . وهكذا تراها تتسركل مظاهر العالم بمصطلحات الآلة والبكانيكا . واني لا اتوق لسماع رأي غوته في نظرتك ، او رأي هردر الذي استغزنا في اواخر القرن الثامن عشر بكتايب الموسوم « آراء في فلسفة تاريخ البشر » — هردر الذي كان ينظر الى التاريخ فيحسبه عمل تهذيب عام للنجنس البشري

انا طول فرانس : ما رأيك في التاريخ يا استاذ ؟ قاني اذكر اني لما كنت طالباً كان

اسمك بلا جورٍ بلادنا، والحقيقة أنه لم يكن يتنا من يستطيع ان بهم شيئاً مما ترمي اليه.  
 فقد اتبع لنا الآن في هذه الحقول الابترية ان نجتمع بهنل وان تهبه  
 هينل : كان لا بد لي من التوضيح لكي لا يفهمي الجهال . اذ لم يكن من الهنات الهينات  
 ان أنهم جبلي اتانجد في الكون من آثار العقل قدر ما لضعه فيدها . وان الاله ليس  
 « السبب الاول » بقدر ما هو « السبب النهائي » . وكان لا بد لي من ان اتكلم بهذه اللهجة  
 لشدة ما عانيناه من ضغط على حرية التفكير

ثولير : لقد ادركت ما ترمي اليه . فالتفكير بعد موت فردريك الكير اصح غير  
 شرعي في المانيا

هينل : والواقع ان فلسفتي هي غاية في البساطة وسهولة المأخذ . الله كلي مطلق . والكلي  
 المطلق هو مجموع كل الاشياء في عموها وامتدادها . الله ذهن . والذهن هو ذلك النسيج ، او  
 ذلك البناء للنوايس الطبيعية ، الذي تخرج فيه الحياة والروح ونحوان . الله روح والروح  
 هو الحياة . والتاريخ هو امتداد الروح . اي انه عمو الحياة . والحياة هي اولاً فورية لا  
 تتغير بذاتها . وعمل التاريخ انما هو اتجاه الروح او الحياة الى التغير بذاتها او حررتها .  
 والطرية سر الحياة . فالتاريخ عمو الحرية وغايتها الفصوى هو كمال الروح حرية وشعوراً  
 ثولير : هذه لفظة ثورية يا سيد هينل

هينل : وهذا جل ما احبه . فانا ارى ان التاريخ ثلاثة ادوار . الاول هو الدور الشرقي  
 وفيه فرد واحد حر . والثاني الدور اليوناني والروماني وفيه افراد قلائل احرار . والثالث  
 هو الدور الحديث وفيه تشر الروح بحريتها ، فننظم الدولة ونجعل الجميع احراراً

\*\*\*

كارليل : هل تأذنون لشيخ ان يتكلم — انكم ما زلتم مفسلين العبري كمال في  
 التاريخ . فلا تارنا بسدكل تأتقكم اقرب الى الحقيقة من ذي قبل . فالتاريخ الدائم ، في عرفاني ، هو  
 ما اعمه الانسان في هذا العالم ، وهو في حقيقته ، تاريخ اعظم الرجال . فكان هؤلاء الاطام  
 قادة الناس ومبدعي الجمهور وشعلة الحضارة . بل كانوا خالقيه في كل ما يفعل وما يمتلك .  
 فكل ما في هذا العالم انما هي نتيجة . خارجية ، وتحقيق عملي وتجميع لانفكار عظام  
 الرجال المرسلين الى هذا العالم . فروح التاريخ العالمي بأجمعه ، هو روح هؤلاء الرجال . فاذا  
 امكنا ان نفهمهم فيها صحيحاً حصلنا على لمحة الى صميم التاريخ ولبايد

وليم جيمس : سمعاً سمعاً هذه حكمة نادرة الوجود

كارليل : لقد حان الوقت لادراك مصدر الآراء التي تهز العالم

هيفل : صبراً يا سادتي قتالاً راء التي نذكرها هي ما ادعوه «روح العصر» (زنجيست) فشمور كل زمن، وتفكيره هو روح ذلك الزمن. وكل ما في التاريخ هو نتيجة ذلك. وقد بلنني ان المر «لمرخت» اتحل ذلك ولكنه يخفي اتجاهه ببارة جديدة هي «التفسيب الاحتماعية». وان يكون لعظماء الرجال اثر ما في التاريخ الا اذا كانوا ادوات عديدة الشمور «روح العصر» هذا. فاذا ظهر رجل ممتاز ولم يكن موافقاً لروح العصر ذهب وجوده سدى كأنه لم يكن . فقد لا يكون المبقرى الذي نتجده النرية اعظم من انداده وأسلافه لانهم هم ايضاً وضعوا حجارة في البناء، ولكنه ممتاز بأنه واضح الحجر الاخير نيم به المقدم. وقراد من هذا التيل لا يدركون الفكرة العامة التي يملونها. لكنهم يدركون بصيرتهم مطالب العصر، فيملنون ما حان اعلانه ويسلون على تحقيقه. فليس العظماء بخالفين، انما هم نوابل تساعد في ولادة ما هو كان في رحم الزمان

كادليل : لا اعرف شيئاً عن قوايلك يا هر هيفل. لكنني اعلم انه لولا «كرمول» لكان التاريخ غير ما هو. ولولا «فردريك» لتحولت مجاري السران. ولولا «نابليون» لما اغتفر البشر لفرنا ثورتها. فعدم الايمان بالاظام كفران نيتسه : (كانه يناطب نفسه) : ان عيادة الابطال هي اثر من عبادة الآلهة . ومع ذلك فقد لسي الناس عادة الاجلال . ماتت الآلهة والانظار متجهة الى السورمان فويلير : هل جن الرجل؟ (سي نيتسه)

اناطول : انه ملهم يا سيد

وليم جيمس : اما انا فاعنى عناية خاصة باثر اعظم الرجال في التاريخ . فاهي الاسباب التي تثير الجمهور جيلاً جديلاً؟ ما جعل انكفروا في عصر الملكة حنة غيرها في عهد الملكة اليباب؟ يقول ماركس ان لا علاقة للتير بالاشخاص، وان التيرت مجردة من سيطرة الافراد اما انا فلاؤمن بذلك، وارى ان التير مرتبط بتأثير الافراد المتجمع — تأثير زعامتهم وقدوسهم وحزمهم. لا يا مستر ماركس ليس للجموع اثر كبير في التاريخ. انا الجماهير تقضي آثار الاظام. فقد حول «بسمارك» انايا الفلسفية في جيل واحد الى امراطورية حرية وتسلم «نابليون» زمام فرنا وقد اضكها التعب والمثل، فاستواها بمبقرته وبث فيها روحه ورغبة في طلاب المجد. وكاد روزفلت بمحقق الشيء نفسه في اميركا. فاني اسلم مع «امرسن» : بقوله «انه يقبل قول «شو» الصيني حيث يقول ان الحكيم مهذب الاحيان. فاذا سمع احدٌ با داب «لو» صار البليد ذكياً والتذبذب حازماً : واني لوانق ان صديقي المسيو «نارد» يوافقني في ذلك. فان نظرتي الى التاريخ نطل مشوهة، اذا لم اخف اليها مذهبه في «التقليد»

تارد : أصبت في أبي أو افقتك ، ففي العالم رجال كبار ، ورجال صغار . وكبار الرجال هم الذين يحددون الانقلابات فإذا سلنا بنقل الاحوال الجغرافية والانتولوجية والاقتصادية بقي لدينا أنه لا مندوحة عن فرد — أو أفراد — يتقدم للزمامة في كل حادثة وفي كل تجديد . ولا حظ في هذه الزمامة للرجل الصغير ، لأنه حيان والارجح أنه لا يعلم بأن ثمة حاجة الى شيء . سوى تلبية التقاليد الغالبة . تكتفي بالعتاد والألوف . اما العظيم فيشعر بالحاجة الماسة ، ويفكر ، فإذا كل شيء قد تغير . وقد يفشل ، على أنه إذا فاز تبعه بضعة رجال من الدرجة الوسطى . فإذا فاز هؤلاء تبعهم موجة من المقلدين كطوفان ظالم . فقد قلده تاجر ياباني أساليب الغرب وآراءه ، وقد هذا عشرة آخرون من قومه ، والآن يتبع أسلوبه مائة الف ، وبذلك تغيرت اليابان على بكرة ابيها . فبحري التقليد هو بوجه عام التي هو الوحيد ذو الشأن في التاريخ . ووراء العوامل الاقتصادية والجغرافية فعل بيولوجي هو الانتخاب الطبيعي لتتبعات الموافقة . والبشري في الشعب كالبذرة المحتوية على صفة التحول الفجائي في النبات . وروح العصر هي المحيط الآذن بظهور هذا التحول ونجاحه . فالتاريخ حرب عوان بين الاعتدال والبقية

كارليل : شكر الله . فانه علم انك احسنت القول

لست وارد : ولا بد من اضافة امر آخر الى ما ذكر ، وهو ان التاريخ انما هو تاريخ الاختراعات . قوراء التغيرات الاقتصادية تغيرات ميكانيكية ، ووراء هذه تقدم العلم الطبيعي ، ووراء تفكير العالم المستأز . قد لا يكون عطاء الرجال اسباب الحوادث التي يمتاز بها التاريخ — كالحروب والانتخابات والمهاجرة الخ . ولكنهم ولا ريب اسباب الاختراعات والاكتشافات التي تميد بناء العالم ، وتغير كل جيل عن الجيل السابق له . تنور المعرفة هو جوهر التاريخ

بكل : مصيب . فتاريخ الامة السياسي يفهم بتاريخ تقدمها العقلي

وارد : اردت ان تعرف يا مسيو قولير ، باية خطوات تقدم العالم ، من المعجبة الى التمدن . فالجواب بالاختراعات . ان الرجال المستبرين في اميركا ليسوا رؤساء الجمهورية ، ولا السياسيين ، بل هم المخترعون ، « كفلتن » و« هوتني » و« مورس » و« مكورمك » والاخرون « ريب » و« اديسن » . ان آثار هؤلاء الرجال نزل عصوراً طويلاً بعد ان نسي اسماء الرؤساء . فآلة البخارية هي التي كوَّنت القرن التاسع عشر ، والكهربائية والكيمياء والطائرات ستكون افقرن العشرين

ماركس : اسلم ان وراء التغيرات الاقتصادية الاختراعات . ولكن التقدم الصناعي

بل والابحاث العلمية، متوقفة على الحاجات والمطالب الاقتصادية . فالحاجة الصناعية تفتق حيلة العالم اكثر من عشر جامعات . وكل اختراع هو خطوة اخيرة في سعي طويل الامد . وقد يرد احياناً بدفعات لا يشعر بها . ولكنه في النهاية متوقف على الحاجات الاقتصادية اناطول : متوقف على حاجات حياتنا يا سيو ، والشؤون الاقتصادية جانب منها فقط . وتوقف بعض الاختراعات ، بل وكل التاريخ ، على حاجة الحب الذي ليس له اساس اقتصادي . والواقع انه متى لاس الحب الاقتصاد يبدأ في الذبول والموت . فلماذا ألّف الناس في الموسيقى بحسب نظرتك ؟

ماركس : الموسيقى نقابة كقطران النجم والصابون

نتشه : الحياة بدون موسيقى خطأ

\*\*\*

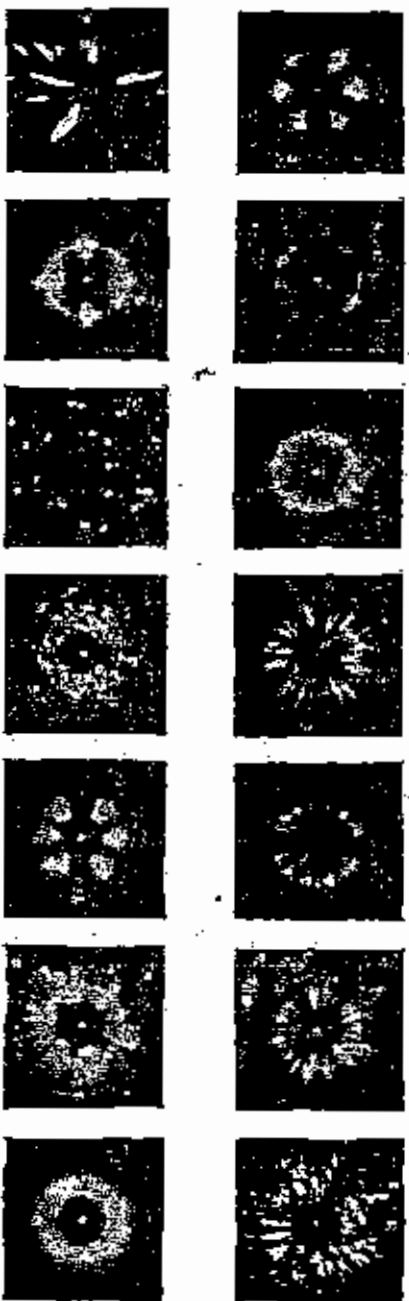
اناطول : فلتقف عندهذا الحد من الجدل . اجل ياسيو موتكميه وياسيو بكل وياسيو رزّل : انا نعيش على الارض ، وسنظل ابدأ محدودين بها ، ولو انا درنا حولها ، وحلقنا في جوارها بل فوق جبال حمالايا من حين الى آخر . وقد يتفوق بعض الاجناس بالدم والطبيعة ، ياميو غرانت ، بواسطة الوراثية والمحيط الملازم . والبعض الآخر يتفوق بالمقدرة العقلية . ولكن دع هذه الاجناس الفضلى تبادل الاجناس الدنيا مواطنها ، الف سنة ، رَ ماذا يحدث . اما الميسو ماركس فلان توقع ان اقمعه بأنكم كلكم مصيون نظيره ، لشي ان ذلك لا يكفيه . اما انت يا سيو هينل فتسلم بنظرية الاعاظم ، اذا سلم ملك السادة جيمس وتارد وكارليل روح المصير وبأن روح العصر هي المحيط العقلي الذي ينتخب العظيم المراني لمصرو

وكذا يمكننا ان نتفق اذا ارتبنا بأنفسنا قليلاً

اما انا فساظل متشبهاً بأعظم الرجال فقط سواء كانوا مكوني التاريخ او لا . واؤثر اعظم عشرة من نوابغ الفرنسيين على فرنسا جماء بدوهم . واذكروا في كتابكم التاريخ ، بما تكن اسباب حوادثه ، ان الاعاظم هم تراجمها . وحذار ان تحذفوا الباقية من صفحاتكم قاني اؤكد لكم ان خريطكم واحصاء انكم لا تمكنكم من الشهور بئلاضي الا اذا رأيتهم بيون المبقرين . فكان خيوط اتاريخ كلها تجتمع في عقولنا بواسطة اعظم الرجال . وكيف فهم المانيا ولساعها لولا غوته ، وانكلترا لولا شكسبير ، وفرنسا لولا فولتير فولتير : الى التوم يا قومنا . قالموم لا بد منهُ حتى لاخالدين



## اشعة اكس تكثف عما عجزت عنه أقوى الالكروسكوبات



صور مصورة بأشعة اكس لاناوع مختلفة من البلورات

والعام المتوزر على هذا النوع من العلم يستطيع ان يتخذ الى طريقة اعظام الذرات في البلورات بدروس هذه الصور واضامها